

(9)

« .. الوجود القومى لا يمكن أن يصبح حيا وسليما  
إلا من خلال تصميمه على تحقيق الاشتراكية .  
والاشتراكية لا يمكن أن تتحقق إلا إذا ربطت  
ذاتها بشكل عضوى متماسك مع الحقائق  
القائمة فى الأمة ..»

obeikandi.com

## ما هو موقف الاشتراكية فى الفكر الناصرى من الأممية والانسانية؟.

إن فكرة الناصرية بارتباطها مع خلاصة الفكر الانسانى المتحرر تسهم فى إشراك الأمة العربية فى مجالات التطور الانسانى العام. ورغم أن الاشتراك فى الحياة العالمية والدولية هو قائم بفعل تطور الآلة ووسائل الإنتاج ووسائل النقل ، إنما الاشتراكية تحدد نوعيه التفاعل التقدمية وتضمن نمو الجوانب الايجابية فى التأثير والتأثير فى هذا المجال. لأنه ليس المهم أن يكون لوطننا علاقات دولية ، إذ أن الأهم أن تؤدى علاقاتنا الدولية إلى تزايد فى تحرير الشعوب ومساواتها على أساس مبادئ تقدميه واضحة تهدف إلى السعادة الحقيقية للإنسان والى علاقات إنسانيه سليمة. فالانطواء على الذات القومية لم يعد وارداً فى هذا العصر ، بالاضافة إلى أن الانطواء يكتب فى الأمة كما يكتب فى الفرد طاقات الانطلاق وإمكانيات العطاء . إن الاشتراكية الناصرية تحدد موقف الوطن العربى فى العالم، على أساس تمكينه من اقتحام الآفاق الجديدة واستيعابها من صهر الأفكار الجديدة وجعلها جزءاً من التراث الحضارى الذى منه نستمد القوة المادية والمعنوية والتي تمكنا أن نواجه تحديات الجيل الذى نحن منه .

والاشتراكية الناصرية تعمل على أن يكون استيعاب العرب للتراث الانساني استيعاب مُركز ومُلتزم. وهذا يعنى أن ما نستوعبه يجب أن ينصب متفاعلاً مع ما عندنا. وهذا يعنى بالتالى أن علينا أن نعرف وندقق فيما عندنا وفيما يمكن أن نعطيه للتراث الانساني.

على ضوء هذا تسعى الاشتراكية الناصرية إلى تحديد نقطة الانطلاق وضبطها وحمايتها، حتى لا يؤدي انجذابنا إلى تيارات الفكر الإنساني إلى انقطاعنا عن تراثنا القومي الذي هو في الواقع جزء لا يتجزأ من التراث الانساني. المشكلة التي تحدثت عند بعض الاشتراكيين العرب أنهم في انجذابهم تخلوا عن نقطة الانطلاق لوجودهم، فكانوا رغم صحة المبادئ التي انجذبوا إلى عديمي التأثير المباشر على مجتمعاتهم، وربط تطور مجتمعاتهم مع نمو هذه المبادئ ونجاحها. وكان من نتائج هذا الانقطاع أن بعض الاشتراكيين أعطوا مدلولاً خاطئاً عن الاشتراكية للجماهير والفئات التقدمية التي لها مصلحة في نجاح الاشتراكية كنظام ومنهج للحياة. وأعتقد البعض أنهم هم وحدهم القوة الاشتراكية في الوطن العربي. والى حد كبير ظهرت الاشتراكية في الوطن العربي معزولة عن التجربة القومية والشعبية، وظهرت وكأنها غريبة عن حياة الشعب وأمانيه.

أدى هذا الانقطاع إلى رد فعل لدى الفئات اليمينية التي حاولت أن تأخذ من هذا التزييف معنى الاشتراكية سلاحاً يطعنون بواسطته الاشتراكية، ليخدموا عن سوء نية أو حسن نية المآرب الرجعية والاستعمارية فى وطننا، والتي لا يحطمها فى المدى الطويل سوى إلتزام علمى واع للاشتراكية حسب الواقع العربى .

وكان من جراء هذا الانفعال عن بعض الفئات اليمينية، أن تعرضت الحركة القومية العربية إلى تسرب النفعيين والانتهازيين الذين تبنوا شعاراتها المرحلية كى يضربوا حقيقة أهدافها ويحرفوا جوهر القومية العربية ومحتواها العقائدى والشعبى . فكان يظهر بين حين وآخر تيارات تقول بأن الحركة القومية يجب أن تؤجل والبحث عن النظام الذى تريد إقامته . وتيارات تقول بأن الاشتراكية تفرق بين الشعب الواحد . وفئات تقول بأن الاشتراكية هى مظهر آخر من الفلسفة المستوردة أو المقتبسة . وأقتنع بعض المخلصين بهذه التيارات التى أطلقتها الرجعية العربية فى أوساط الحركة القومية، لعل إطلاقها يؤخر تكامل الوعى وتزايدده فى الأوساط العامة.

كان لابد إزاء هذان الاتجاهان : الاتجاه الأسمى المفهوم الإشتراكي، والاتجاه الإنطوانى القومية، والرواسب التى تتفرع عنهما، أن يعمل الإشتراكيون الناصريون على تصحيحها بشكل حاسم وسريع.

والتصحيح فى هذا المضمار يعنى توضيح المفهوم الإشتراكى للقومية، وللإنسانية، وللأممية. وعندما تتوضح هذه المفاهيم يصبح بإمكاننا أن نحدد موقف الإشتراكية الناصرية منها. فالإشتراكية نتيجة إقتناع يتوصل إليه الإنسان عندما يريد أن يبلور نزعته التقدمية، وأن يحقق أمانه الحقيقية. أما القومية فهى تعبير عن وجود قائم وعن كيان ذات خصائص معينه ومصير واحد ينتمى إليه الإنسان انتماء وجودياً. الفرق إذن فى هذا المضمار بين القومية والإشتراكية بالنسبة للإنسان العربى، أن القومية هى دليل انتسابه إلى كيان والى أمة، وبالتالي مناسبة لوجوده. أما الإشتراكية فى تلازم مجرد الوجود، ولكن تتكون نتيجة إقتناع يولده حس بمسئولية تحسين وتحرير الإطار القومى وجعله يتوافق مع مستلزمات المجتمع الأمثل. الإشتراكية نظرياً هى الوجود المثل ومرحلياً هى التحقيق الأفضل.

من هنا يتضح لنا أنه ليس هناك تناقض بين القومية والإشتراكية، كما يدعى الأمميون والقوميون المنغلزون، بل بالعكس فإن الوجود القومى لا يمكن أن يصبح حياً وسليماً إلا من خلال تصميمه على تحقيق الإشتراكية. والإشتراكية لا يمكن أن تتحقق إلا إذا ربطت ذاتها بشكل عضوى متماسك مع الحقائق القائمة فى الأمة.

ومن جهة أخرى فالإشتراكية الناصرية لا تقر أن القومية هي مذهب، بل تصر على أنها وجود وكيان. فالقومية إذا تخطت كونها انتماء ووجود، فإنها تهدد القيم الانسانية الكامنة في القومية العربية. فالقومية كمذهب فلسفى هي فلسفه مقفلة، وهذا يؤدى إلى إقصاء العقل عن فاعليته، وتؤدى إلى تحريك الغرائز لحماية الانعزال. فالمذهبية القومية تعتمد على نظريات عرقية وطائفية، وتجعل من الغرور القومى أداة لإثبات الوجود. وينتج عن هذا مفاهيم تشوه معنى الكرامة القومية، وتكبت عند الشعب طاقاته لحل مشاكله الاساسية. فالمذهبية القومية ترى الشعب بشكل مبهم وكلى، بينما الاشتراكية ترى الشعب نتيجة تفاعل أفراده. الفرق أنه بالمفهوم الاشتراكي يصبح الإنسان الخلية الأساسية للأمة، بينما بالمفهوم القومى المذهبي المقفل يكون الإنسان مجرد أداة.

يتراءى لنا من خلال هذا الالتباس اللفظى والفكرى الذى نتج عن الانفعال المتبادل. فالقومية المذهبية استمرت بحكم الانفعال ضد الاشتراكية الأممية. الاشتراكية الأممية رأت فى القومية حق الإنسان فى التفاعل مع التراث والحضارة العالميين. من هنا استرسال التياران فى اتجاههما وخطورتهما.

الاشتراكية تجد فى الوجود القومى قطاعاً فى الوجود الانسانى وجزء لا يتجزأ منه. ودور الاشتراكية فى هذا

السبيل هو إغناء الوجود القومى وتفجير طاقته الخيرة المبدعة. كمساهمة فى إغناء التراث الانسانى الذى هو بدوره حصيلة تفاعل القطاعات القومية فى العالم. الاشتراكية فى الوطن العربى تختلف عن الاشتراكية الأممية فى هذا الموضوع ، لأنها تؤمن بأن الوحدة الانسانية كامنة فى العلاقة التلقائية بين الوحدات البشرية المتنوعة لا نتيجة فرض تجربة معينة مقياساً وحيداً لصحة العمل الاشتراكى .

الاشتراكية فى الوطن العربى تنسق التجربة العربية مع تجارب الإنسان فى كل العالم. بينما الاشتراكية الأممية تربط التجربة العربية بتجربة تعتقد أنها أكثر تقدماً ، وبالتالي لها صفات وحق القيادة . ان الوحدة الانسانية هى التى يشعر الإنسان أنه ساهم فيها . الوحدة الأممية هى تأمين وحدة شكلية دون اعتبار لمضمون هذه الوحدة ووجودها .

الاشتراكية فى الوطن العربى تؤمن للإنسان العربى أن يرى فى الانسانيه نفساً من ذاته. وعندما يرى ذلك يصبح أكثر استعداداً لتقبل وفهم التراث الانسانى. وعندما لا يرى الإنسان العربى فى التراث الانسانى انعكاساً لوجوده ، أو عندما لا تتكون الوحدة الانسانية- ولو جزئياً- من وجوده يتولد عنده مركب النقص فتضعف ثقته فى ذاته، فيستسلم ولا يعود يعطى أو يبذل.